المخطوطات العربية في الهند: دراسة تاريخية

الباحث/ أحمد رضا *

الملخص:

يعود اهتمام العرب بالهند وإعجابهم بحضارتها العريقة إلى ما قبل ظهور الإسلام، إذ كان يتم التبادل الثقافي والحضاري والأدبي بين الهنود والعرب من خلال التجارة والرحلة عبر الطرق البحرية. لذا، احتضنت الهند على مدى حقبة طويلة من الزمن جزءًا كبيرًا من الثقافة العربية والأدب العربي، يمكن تتبعه في مدنها وقراها، وفي آثارها ومآذنها، وفي متاحفها وأرشيفاتها ومكتباتها. وهناك الآلاف من المخطوطات العربية النادرة والكلاسيكية الموجودة في الهند في مختلف المكتبات والمتاحف والمساجد والجامعات، مما يجعلها أكبر البلدان التي تم فيها الحفاظ على هذا العدد الهائل من المخطوطات العربية على مرّ السنين. دخلت اللغة العربية الهند بفضل العلاقات التجارية مع الجزء الجنوبي من الهند، ولاسيما منطقة مالا بار، وازدهرت هذه العلاقة أكثر مع الفتوحات الإسلامية في الأجزاء الشمالية من الهند ومع قدوم الحكام من بلاد العرب ومن المناطق الأخرى مثل تركيا وإيران وأفغانستان، ليؤسسوا ممالك وإمبراطوريات متعددة على أراضيها بدءاً من القرن الثاني الهجري (القرن الثامن الميلادي). وبسبب شغفهم بالعلوم والفنون إنهم تركوا وراءهم العديد من المخطوطات العربية والفارسية والتركية والأردية في مواضيع عديدة، ولكن المخطوطات العربية هيمنت عليها جميعا بسبب كون العربية لغة دينية للمسلمين. لا ريب في أن المخطوطات هي تراثنا العلمي والأدبي ووثيقة مهمة للتاريخ والفن والثقافة. ولا يمكن لأحد أن يتجاهل أهميتها التاريخية والثقافية في العصر الحديث.

---

* الباحث بمرحلة الدكتوراه، جامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية، حيدر آباد، الهند.

يودّ الباحث من خلال هذه المقالة البسيطة أن يستكشف رحلة المخطوطات العربية وتطوّرها في الهند بدءًا من العصر المغولي حتى فترة حكّام دكن، الذين تولّوا أمر المخطوطات العربية بكل إخلاصٍ أثناء حكمهم في أجزاء مختلفة من الهند. علاوة على ذلك، ستستعرض هذه المقالة بعض المخطوطات العربية الهامة والنادرة التي تم الحفاظ عليها حتى يومنا هذا في مختلف المكتبات والمحفوظات والمتاحف في الهند.

الكلمات المفتاحية: المخطوطات، الخطوط العربية، التراث الإسلامي، الأدب العربي، الثقافات العربية الهندية، المكتبات، المتاحف، الأدب العربي،

المخطوطات العربية في الهند: دراسة تاريخية:

ترجع العلاقات المتينة والصلات الوطيدة بين الهند وبلاد العرب إلى فجر التاريخ، حيث كان العرب والهنود يتبادلون التجارة بشكل أساسي، ولكن حصل بينهم تفاعل ثقافي واحتكاك لغوي أيضا، فكانت الفرصة سانحة لكلتا الأمّتين العريقتين في الحضارة والتأريخ أن تعرفا دياناتهما ومجتمعاتهما وسياستهما، ولا عجب إذا أبهرت الهند وما فيها من جمالٍ وتنوعٍ أعين العرب وأثارت إعجابهم، حتّى أصبحت كلمة "الهند" بلغتهم استعارة للفتاة الجميلة. وتطوّرت العلاقة الودية بينهما إلى حد كبير بعد ظهور الإسلام وانتشاره في الهند وتنامي العلاقات التجارية والاقتصادية، أما الاهتمامات الثقافية فقد ازدهرت بشكل ملحوظ منذ العهد العباسي وما بعد. لأجل ذلك، تحتضن الهند اليوم جزءا كبيرا من الثقافة العربية الممتدّة على المئات من السنين، وتوجد في مدنها وقراها وفي مدارسها وجوامعها وفي مكتباتها ومتاحفها الآلاف من المخطوطات العربية النادرة التي هي مفخرة من مفاخر بلاد الهند. وقد دخلت اللغة العربية إلى الهند بسبب العلاقات التجارية وتوطدت هذه العلاقة مع الفتح الإسلامي لأجزاء منها، ومع حكامٍ

جاءوا من بلاد العرب وبلاد الفرس وأفغانستان ليؤسسوا فيها ممالك وإمارات متعددة خلفت وراءها عددا كبيرا من المخطوطات العربية والفارسية والأردية والتركية، ولكن تغلبت عليها العربية لكونها لغة دينية للمسلمين. إن المخطوطات هي تراثنا القومي ومأخذ مستند للتاريخ والثقافة، ولذا لا يمكن لأحد أن يغضّ النظر عن أهميتها التاريخية والأدبية، وقبل أن ندخل في الموضوع الرئيسي لابد لنا من أن نعرف بعض النقاط المهمة عن المخطوطات.

أصل كلمة "المخطوطة":

المخطوطة كلمة مشتقة من الفعل "خط" "يخط" أي كتب يكتب، وهي مكتوبة يدوية بأي شكل من الأشكال سواء كان على ورق أو على أية مادة أخرى كالجلود، والألواح الطينية القديمة، والحجارة وغيرها، وقد كتبت في مختلف طرق الكتابة كخط النستعليق، والخط الكوفي، والخط الحيري، والخط النبطي وخط النسخ وخط الثلث وغيرها. وهي بمثابة إرثنا الأدبي والثقافي والعلمي والتأريخي، ووسيلة مؤثرة لتناقل الأخبار ورواية الأشعار وكتابة التراجم ووصف الرحلات والأحوال والمجتمعات.

ومن المعروف أن الخط العربي أخذ يزدهر بظهور الإسلام على حساب سائر الخطوط في الجزيرة العربية ثم لم يلبث أن انتشر خارجها تبعا لانتشار العرب والإسلام[١]، وكان في القرن الثاني من الهجرة يكتب بغير النقاط والحركات، ويدعى ذلك الخط "الخط النبطي" (نسبة إلى الأنباط)، وبعد الاختلاط بالخط المحلي أصبح الخط الحيري، والكوفي، وقد لعب فن

[١] د. محمد سعيد الطريحي، أطلس الخطوط والكتابات الإسلامية في الهند، موسوعة الموسم: موسوعة فصلية مصورة تعنى بالآثار التراث، أكاديمية الكوفة هولنده، ٢٠٠٩، ص ١٣٨.

الكتابة دورا ملحوظا في تطوير فن المخطوطات، ثم منافسات الكتابة الفنية أوصلت المخطوطات إلى القمة.

بداية المخطوطة في الهند:

نعثر على وجود المخطوطات العربية في الهند من القرن الثاني للهجرة في ظل تطور علاقة الهند والعرب، وفي القرن التاسع للهجرة تطورت المخطوطات العربية في الهند تطورا كبيرا وكتبت على الأوراق بكثرة، وقد كتبت المخطوطات في لغات مختلفة أيضا؛ مثل الأردية، والفارسية، والهندية، المراتية، التاملية، السنسكريتية، البنجابية، وغوجراتية وغيرها [٢].

وتتواجد المخطوطات العربية والفارسية والأردية في المدن التي عاش فيها المسلمون بعدد كثير، فقد جذب الخطاطون الماهرون اهتمام عامّة الناس وخواصهم على حد سواء إلى إبداعاتهم الفنية، وأصبحت لهم مكانة مرموقة في المجتمع، وقد شجّعهم على ذلك إشراف الملوك والأمراء ورعايتهم تشجيعا بالغا، ونتيجة لذلك، ظهرت "سوق الوراقين" حيث كانت المخطوطات الجيدة تباع بقيمة غالية، وأصبحت تلك السوق فيما بعد وسيلة لمعرفة الثقافات والسير والتواريخ أيضا. وهكذا أصبحت كتابة المخطوطات مهنة مربحة تدرّ على أصحابها أموالاً طائلةً في العصر القديم. وممّا يلاحظ هنا أن المكتبات الملكية وكذلك المكتبات العامة أصبحت زاخرة بالمخطوطات العربية المتنوعة.

تطور المخطوطة في العهد المغولي:

كان الحكام المسلمون عامة والملوك المغول خاصة صرفوا اهتمامهم إلى المخطوطات والنقش، وقاموا بشرائها والاحتفاظ بها في مكتباتهم الخاصة،

[٢] د. مه جبين أختر، مجلة شهرية " هندوستاني خطى ميراث" مقالة- الأهمية التاريخية للمخطوطات العربية في الهند، ص ٢٢٤.

وفي طليعة هؤلاء الملوك؛ الملك جلال الدين محمد أكبر(١٥٥٦م-١٦٠٥م) والملك نور الدين سليم جهانغير(١٦٠٥م-١٦٢٧م) والملك شهاب الدين شاه جهان(١٦٢٨م-١٦٥٨م). وهؤلاء الحكام شكّلوا لجنة خاصة للنقش وكتابة المخطوطات، وعيّنوا فيها الخطاطين والنقاشين الماهرين بصفة رسمية، وأسموها "كارخانه" (المعمل)، وبعض المخطوطات من تلك العهود تحمل التوقيعات والهوامش للملوك والأمراء، كما توجد مخطوطتان نادرتان في النقش والتزيين من عهد الإمبراطور المغولي "جلال الدين محمد أكبر"، وهما "همزة نامة" (رسالة همزه) و"رزم نامة" (رسالة رزمة) ترجمة فارسية للأحداث التاريخية لمهابهاراتا ورامايانا[٣].

وطبقا لقول ابن هشام (عبد الملك بن هشام): حمير بن سبأ كان أول كاتب للعربية،[٤] وقد كتب نرمل الغوسوامي المحرر لجريدة" دينمان تايمز" الهندية الأسبوعية عن الخط واللغة العربية؛ "إن أجمل هدية إسلامية عندي هي الخط العربي والمخطوطات، فكل لفظ فيها يوحي بالأفضلية والقوة الإسلامية والحضارة والثقافة الكاملة، فنجد نماذج لا تنسى للخط العربي على أبواب المساجد والقصور والقلاع التي تعكس التمدن والحضارة التاريخية." وكذلك تحظى المكتبات لحكام الولايات المستقلة الجنوبية في "بيجافور" و"غولكوندا" بأهمية بالغة في هذا الصدد، إنها حافلة بالمخطوطات العربية النادرة، ومركز رئيسي لها في جنوب الهند.

وتمتلك المكتبات الملكية المتدة على أنحاء الهند بعض أهم المخطوطات العربية النادرة، ومن بين تلك المكتبات؛ "مكتبة المجتمع الآسيوي" ببنغال، و"المكتبة القومية" بكولكاتا، و"مكتبة خدا بخش" بباتنة، ومكتبة رضا

[٣] المصدر السابق.
[٤] المصدر السابق

ببلرامفور، ومكتبة مولانا آزاد بدلهي الجديدة، ومكتبة الجامعة العثمانية، متحف سالار جنغ، والمكتبة الشرقية، ودائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، ومكتبة المخطوطات بتشنائ، ودار المصنفين شبلي الأكاديمية بأعظم جره. جميع هذه المكتبات تمتلك بعض المخطوطات العربية القيّمة والنادرة.

الآن نستعرض بعض أهم المخطوطات التاريخية العربية من مختلف المكتبات الهندية، والتي لا تزال تعتبر تحفة فنية وتراثا علميا وعربيا.

١- توجد نسخة القرآن الكريم التي كتبها الخليفة الرابع سيدنا علي-كرم الله وجهه- بخط كوفي، وتوجد نسخة التاريخ الملكي الخوارزمي في مكتبة خدا بخش بباتنه (٥١١٤٥).

٢- نسخة تحتوي على تاريخ مكة منذ ولادة النبي محمّد-صلي الله عليه وسلم- حتى يوم الهجرة كاملا في مكتبة المجتمع الآسيوي بكولكاتا.

٣- نسخة كبيرة تشتمل على"تاريخ هرات" منذ العام ١٢٢١ هجرة إلى العام ١٣٣١هجرة في المكتبة القومية بكولكاتا.

٤- مخطوطة باسم "بادشاه نامة" (رسالة الملك) في المجتمع الآسيوي بكولكاتا، وهي تتحدث عن عهد الملك المغولي شاه جهان وما حدث فيه من الوقائع، وعليها توقيع الملك المغولي شاه جهان، وهذه المكتبة تحتفظ بنسخة نادرة لـ "التعليقات والنوادر" لأبي علي هارون أيضا، ويقال إنه لا توجد نسخة ثانية لها في أيّة مكتبة من مكتبات العالم، وفضلا عن ذلك، فيها مخطوطة لـ "تاريخ علم النجوم" لأثر الدين المفضل ابن عمر الأبهري.

وطبقا للتقدير العام تتواجد الآلاف من المخطوطات العربية في مختلف المكتبات والمتاحف الهندية، ويقدر عددها بنحو خمسة وخمسين ألف

مخطوطة عربية في الهند[٥]، ناهيك عن المخطوطات المكتوبة باللغات المحلية، ولا يسعني المجال أن أحصر كل المخطوطات العربية هنا، فذخيرة المخطوطات لنواب محمد علي خان ولاجاه لتاميل نادو، جنوب الهند، وأترا براديش لا تزال مختفية عن عيون الناس حتى الآن وتنتظر من يزيح الستار عنها.

ويعتبر القرن السادس عشر الميلادي عصرا ذهبيا في الهند بالنسبة للغة العربية وأدبها، وهو العصر الذي حكم فيه المغول الهند. وكان الملك المغولي الثاني الملك نصير الدين محمد همايون (١٥٣٠م–١٥٤٠م و ١٥٥٥م–١٥٥٦م) قد استدعى جماعة من الخطاطين من إيران في عام 1547م، ونشر أفضل المخطوطات في سلطنته، و كان أبوه الملك ظهير الدين محمد بابر (١٥٢٦م–١٥٣٠م) نفسه خطاطا ماهرا جدا، والملك المغولي جهانغير، والملك شاه جهان، والأميرة جهان آراء والأميرة زيب النساء بيغم كلهم كانوا معجبين بالمخطوطات والنوادر وبالتالي قاموا بالإشراف على فن الكتابة والمخطوطات، ويمكن أن نرى بعض أجمل النماذج لها في القصور والعمارات والدواوين الملكية من ذلك العهد الذهبي، وفضلا عن ذلك، إنهم اهتمّوا بترويج العلوم والفنون والتاريخ والآداب في صورة المخطوطات، فتطورت الكتابة والمخطوطات والكتابة المصورة تطورا ملحوظا وعكست تلك المخطوطات من ذلك العهد الشريعة والقانون الإسلامي والحضارة والتمدن[٦]. وعندما اتجه الملك المغولي أورنغ زيب إلى جنوب الهند وخاصة إلى المنطقة التي تعرف بـ "دكن"، أخذ معه الخزائن العلمية والأدبية، والمخطوطات، واللوحات ومدوّني التاريخ، وبعد أن فتح "دكن" استولى على الثروة العلمية والحضارة الملكية

[٥] حوار د. مجيب الرحمن، اللغة العربية هويتنا إن كنا عجما، مجلة الفيصل
[٦] د. محمد سعيد الطريحي، موسوعة الموسم: موسوعة فصلية مصورة تعنى بالآثار التراث، أكاديمية الكوفة هولنده، ٢٠٠٩، ص ١٣٨.

للأسرة الملكية العادلية والقطبية اليمنية لولاية كلبركه، غولكوندا، بيدر، وبيجافور.

دور الملكات المختلفة في دكن في تطور المخطوطة:

مثّلت حكومة "مملكة عادل" لبيجافور وحكام مملكة قطب في غولكندا دورا مهما في تأليف المخطوطات التاريخية في القرن الخامس عشر، وإنهم تعلّموا هذا الفن الخطاطي أيضا، وعرضوا نماذج جيدة للمخطوطات، منها "نسخة نورس" جميلة تمتلكها مكتبة متحف سالار جنغ بمدينة حيدر آباد، في مجال الموسيقى، كتبها الملك خليل في القرن السابع عشر من الميلاد، والذي كتبت متونه الشعرية بالخطّين: الفارسي والهندي معًا. وكذلك تتواجد في تلك المكتبة مخطوطات أخرى لها أهمية تاريخية، منها على سبيل المثال "إبراهيم نامه" "علي نامه" آزرب سلطاني" و تاريخ سكهان".

هناك مخطوطة باسم "تاج المآثر" التي كتبت في خط النسخ وتشتمل على تاريخ دلهي. ويوجد توقيع المؤلف على نسخة" تذكرة دولت شاه" والنسخة الملكية "تحفة سامي" التي ألفها الملك الصفوي سام مرزا، وتشتمل على عشرة تصاوير صغيرة ومزينة بالنقاش، وهي نموذج رئيسية "لمدرسة تلوين شيراز"(Shiraz School of Painting) والمخطوطات العربية للصوفي الشهير العالم محمد الحسيني غيسودراز من كلبركه لها أهمية تاريخية أيضا. وتوجد المخطوطات في أشكال مختلفة منها القطعات، والأشعار، والقصائد، والآيات القرآنية المزينة بالألواح[٧].

[٧] د. مه جبين أختر، مجلة شهرية " هندوستاني خطى ميراث" مقالة- الأهمية التاريخية للمخطوطات العربية في الهند، ص ٢٢٤

ومن أهم الكتب التاريخية للهند "سبحة المرجان في آثار هندوستان" للسيد غلام آزاد البلغرامي ١٢٠٠ للهجرة، التي نسختها موجودة في مكتبة بانكي فور، أسعد آباد. وقد اندرجت فيها أحوال العلماء والفضلاء المسلمين من الهند وباكستان حسب الترتيب التاريخي في بابها الثاني التي قد تم طبعها. وتوجد نسخ أخرى عن نفس الموضوع باسم "تاريخ علماء الهند" و " مآثر الكرام"، و "أبجد العلوم" ألفها النواب صديق حسن البوبالي.
وفي "مآثر الكرام" قد كتب المؤلف آزاد الأحوال والواقعات التاريخية للعلماء والأولياء المتميزين للبلد بلغرام.

ونسخة نذير أحمد "الرسالة في تاريخ الغدر" زينة لمكتبة علي جراه. وتوجد نسخة عباس مرزا ابن سعيد أحمد الحسيني من القرن الثالث عشر للهجرة "الحصن المتين في تاريخ أود" في مكتبة بنغال وكذلك نعرف وجود كتاب "تاريخ يمني" للمملوك علي الدهلوي بها. ونجد تاريخ غوجرات ومالواه، والواقعات التاريخية لمختلف مملكات الهند في "مآثر محمود شاهي (١٤٤٢م)"و" طبقات ناصري" (١٥٠٠م)"و"تاريخ محمدي"، وقد سجلت فيها أحوال المعاشرة والمجتمع والمعيشة لذلك العهد.

ونظرا لأعداد ضخمة من المخطوطات نقتصر هنا على ذكر بعض المخطوطات التاريخية في الهند، ولكن قبل ذلك نذكر مكتبات حيدر آباد الّتي تمتلك تلك المخطوطات العربية، وهي: الجامعة العثمانية، دائرة المعارف العثمانية، والمكتبة السعيدية، ومركز المخطوطات الشرقية، مكتبة متحف سالار جنغ، ومركز الآصفية. وتوجد في هذه المكتبات المخطوطات العربية المتنوعة المكتوبة في موضوعات مختلفة. نقدم هنا بعض المخطوطات التاريخية العربية من مكتبات حيدر آباد.

مكتبة الجامعة العثمانية:

تعتبر الجامعة العثمانية من أهمّ الجامعات التاريخية بمدينة حيدر آباد، وتضم عشرات الكليات، وأكثر من مائة ألف طالب يدرسون فيها، ويقدر عدد المخطوطات العربية بها بنحو ألفي مخطوطة. وقد تمّ إخراج بعض تلك المخطوطات، وأجري البحث ما قبل الدكتوراة والدكتوراة عن بعضها أيضا، وبينما ارتدت بعضها زي الطباعة، لا تزال بعضها الأخرى تتطلّع إلى الطباعة والنشر. وقبل عدّة سنوات شكّلت لجنة المنح الجامعية (UGC) هيئة من الباحثين والمحققين لتحقيق مخطوطة عربية تشتمل على ٢٤٠ صفحة عن موضوع الهجرة وقد ألفها نواب صديق حسن خان القنوجي. وقامت الهيئة بتحقيق هذه المخطوطة التاريخية، واسم المخطوطة الأصلي "العبرة مما جاء في الغزوة والشهادة والهجرة"[٨] وبالإضافة إلى ذلك، نذكر الفهرس الموجز لأهم المخطوطات التاريخية الأخرى التي تحتفظ بها هذه المكتبة القديمة؛

١. تاريخ الخلفاء- العلامة جلال الدين السيوطي
٢. تاريخ الدولة العثمانية- اسم كاتبها مجهول
٣. تاريخ ابن خلكان (في أربعة أجزاء)
٤. قصص الأنبياء- محمد بن عبد الله
٥. تاريخ حكماء السلف
٦. تاريخ كتاب القصص
٧. تاريخ كتاب في الأدب
٨. تاريخ كتاب في الحديث – زكي الدين
٩. تاريخ كتاب حيوة الحيوان – كمال الدين
١٠. تاريخ كتاب روضة الأزهار
١١. كتاب في التاريخ
١٢. كتاب المفصل في صنعة – زمخشري

[٨] المصدر السابق

١٣. كتاب الهند – أبو ريحان البيروني (دائرة المعارف)

وكتبت جميع هذه المخطوطات بخط النسخ، والخط الكوفي وخط الثلث.

والآن نتناول المخطوطة التاريخية "كتاب الهند" بالبحث والمناقشة، وقد كتب المؤرخون عنها أن: "السلطان محمود الغزنوي" كتب رسالة إلى خوارزم شاه قائلا "أرسل لنا بعضا من علماء قصرك الأجلاء حتى يزداد صيت قصرنا بقدومهم ونستزيد ونستفيد من فيض علمهم". فلم يتهيأ أحد من العلماء للسفر بسبب شدة طبع الملك وقساوة مزاجه، وبالصدفة وقع نظر خوارزم شاه على البيروني، وكان أبو ريحان محمد البيروني ماهرا جدا في متعدد العلوم والفنون وقد قام بنقد الأحداث التاريخية في كتبه، وكان يزن كل الأمور بميزان العقل وكان يظلّ مشغولا ليل نهار بالأمور العلمية لدرجة أن وفاته حدثت بسقوط الكتب عليه.[٩]

كان البيروني أول مؤرخ ورحالة للهند. عاش فيلسوفا، عالم اجتماع ومفكرا عظيما، وكان مغرما بالسفر والترحال. وقد التقى في غزنة ببعض الكهّان الهندوس الذين كانوا قد وصلوا إلى الهند مع السلطان الغزنوي، فعندما سمع من هؤلاء الكهّان عن الهند، زاد شوقه للزيارة والسياحة لها.

وفي سنة ٤٠٨هـ قدم مع السلطان محمود الغزنوي إلى الهند. وقضى هناك ٤٠ سنة تقريبا واطّلع على أوضاع الهند اطلاعا واسعا. وعلى الرغم من أنه عانى من المشاكل والتحديات، فقد تعلم اللغة السنسكريتية من الكهان بتمويه وحيلة، ثم قرأ الكتب الفلسفية والدينية لأهل الهند، وألف كتابا عن علوم وفنون أهل الهند، وعقائدهم، وثقافاتهم، وعاداتهم، وتقاليدهم، طبع ذلك الكتاب فيما بعد باسم "كتاب الهند. وهذا أول كتاب جامع لا مثيل له عن

[٩] المصدر السابق

الأوضاع الاجتماعية والحضارية للهند القديمة. وقام فيه بدراسة معتقدات أهل الهند بشكل دقيق وقال البيروني: "إنّ للعامة من الناس مذهبا وللخاصة مذهبا آخر. والناس في الهند يحبّون الشعر على الرغم من أن النثر سهل الفهم". وأضاف قائلا في كتابه المشهور: "وبعد محاولات كثيرة أردت أن أعرض ترجمة بعض الكتب العربية المشهورة مثل "اقليدس" و"مجسطي" على الكهان الهندوس وأردت أن أقرأ عليهم كتاب "صنعت اسطرلاب"، ولكن لم يستطع الناس فهم هذا وابتليت بالمصائب". (مقدمة كتاب الهند- ص ٦٦)

ومن خلال " كتاب الهند " قام البيروني بتعريف الهند وحضارتها العريقة إلى العالم لأول مرة. وألف العديد من الكتب في تاريخ علم الفلك والنجوم، ومن خلال أبحاثه أثبت بطريقة علمية أن نظام الكون يكون في وقت واحد، وبعد أن كتب "القانون المسعودي" في هذا الموضوع وعرضه على الملك محمود الغزنوي، فغمره الفرح والسرور، وقدّم له الكثير من الهدايا والتحف بما فيها فيل مرصع ولكنه لم يقبل هذه الهدايا الغالية رغم بؤس حالته.

وتمت ترجمة "كتاب الهند" و"القانون المسعودي" إلى أكثر اللغات الأوروبية، وبعد أن اطّلع على الكتب المقدّسة الهندوسية القديمة باللغة السنسكريتية مثل بهاغافاد غيتا، ورمايانا، ومهابهارتا، ومنوشاسترا، قام بترجمتها إلى اللغة العربية وأرفقها بالمصادر والمراجع. وقد أخبر أهل الهند أن الدنيا واسعة والعلم كالبحر، وأطلق عليها أهل الهند اسم "الساحرة" و"بحر العلم".

وقد تم نشر "كتاب الهند" (أصله باللغة العربية) في عام ١٨٨٧م من مدينة (لايبزيغ، ألمانيا) وباللغة الإنجليزية في عام ١٨٨٨م من مدينة (لندن،

بريطانيا). و"القانون المسعودي" (أصله باللغة عربية) قد تم نشره من دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد[١٠].

وقائمة أهم المخطوطات في الجامعة العثمانية:

١- دلائل الخيرات- لمحمد بن سليمان الجزري
٢- الكافية-
٣- التيسير في علم القرآن- لأبي عمر عثمان
٤- كتاب السيرة – لابن هشام
٥- المختصر من تاريخ النبي صلى الله عليه وسلم- لأبي عبدا لله البخاري
٦- أنوار التنزيل- للبيضاوي
٧- تفسير الجلالين – لإمام السيوطي
٨- ديوان المتنبي
٩- تاريخ ابن خلكان
١٠- حياة الحيوان - للدميري
١١- القانون- بوعلي سينا
١٢- كتاب النحو

المكتبة الآصفية:

تمتلك المكتبة الآصفية ٦٣٣٧ مخطوطة باللغة العربية، تم تأسيسها على يد شيخ الإسلام الحافظ أنوار الله تحت إشراف مير عثمان علي خان آصف السابع في عام ١٨٩١م، بجانب المخطوطات العربية، تتواجد فيها المخطوطات باللغات الأخرى أيضا، ففيها ١٦٧٣ مخطوطة باللغة الأردوية و٨٩١٥ مخطوطة باللغة الفارسية.

مكتبة المتحف سالار جنغ:

[١٠] المصدر السابق

تم تأسيس هذه المكتبة الشهيرة علي يد مير عثمان علي خان في عهد سالار جنغ الثالث، والذي كان مغرما بجمع مختلف النوادر، وكان يشتريها بدفع ثمن باهظ جدا، ويبلغ عدد المخطوطات فيها ما يقارب ٢٢٢٠ مخطوطة عربية، بينما باللغة الأردوية عددها نحو ٩٧١٠، وباللغة الفارسية عددها نحو ٣٣٢٢ واللغة التركية عددها نحو ١٣٦، ومن أهم نوادر مخطوطات المتحف فيما يلي[11]:

١. نسخة القرآن الكريم (مكتوبة بالخط الكوفي على جلد الغزلان في القرن الثاني من الهجرة)
٢. قصيدة البردة- ياقوت المستعصمي (٦٩٨ه)
٣. نسخة تهافت الفلاسفة- أبو حامد الغزالي (٥٠٧ه)
٤. شرع الإسلام إلى دار السلام- محمد بن أبي بكر السمرقندي
٥. تفسير سورة يوسف- أبو حامد الغزالي
٦. تفسير القرآن- ملا علي القاري بن سلطان (١٠١٤ه)
٧. مختصر الصحيحين- لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي(٧١٠ه)
٨. أحكام القضاء القدر- لأبي محمد عنايت الله المعروف بأبي يزيد البسطامي
٩. حجة العارفين في أصول الدين- للسيد نور علي بن محمد قاسم الحسيني، وغيرها من المخطوطات.

الجامعة النظامية:

إنها مدرسة عربية قديمة، تضم مكتبتها "مكتبة الجامعة النظامية" ما يقارب ١١٣٠مخطوطة عربية، وفيها نسخة قديمة جدا لـ" تاريخ علماء دكن" ولكن كاتب هذه النسخة مجهول.

أرشيف الدولة: (State Achieves)

[11].https://web.archive.org/web/20130111114604/http://www.salarjungmuseum.in/html/events_septemberl

توجد فيها نسخ قلمية نادرة عن سجلات الحكام والوثائق التاريخية عن آندرا براديش، وهي ترجع إلى عام ١٦٣٠م حتى ١٧٢٤م من الميلاد، وعددها مائتا ألف، منها خمسة آلاف وثيقة تاريخية لعهد الملك المغولي شاه جهان، ومائة وخمسون ألف وثيقة تاريخية من عهد الملك المغولي أورنغ زيب.

ويوجد فيها أيضا سجلّ المملكة السابقة لحيدرآباد من عام ١٧٢٤م حتى ١٩٥٩م بشكل الوثائق. ويوجد فيها أيضا السجل التاريخي لأسرة المملكة العالية، والمملكة القطبية، وعهد البهمني.

المكتبة السعيدة بحيدر آباد:

قام بتأسيسها المفتي محمد سعيد في عام ١٣١٢ من الهجرة. تمتلك هذه المكتبة المخطوطات النادرة من القاهرة، ودمشق، وبغداد، والمدينة المنورة، ومكة المكرمة. يبلغ عدد المخطوطات فيها نحو ٣١٣٦، و"تاريخ مدينة دمشق" لابن عساكر (٥٧١هـ) التي تشتمل على ٨ مجلدات، و"التبيان في تفسير القرآن" لأبي جعفر الطوسي و"تحفة الغريب" للدماميني من أهم المخطوطات التي توجد في رفوف هذه المكتبة[١٢].

كما توجد المخطوطات المهمة الأخرى أيضا، منها:

١. أسماء المهمة في ابناء المحكمة- لأبي بكر أحمد بن على الخطيب البغدادي (٤٦٤ه)
٢. حرز الأماني- العلامة الشاطبي (٥٩٠ه)
٣. تسديد القوس في تخريج أحاديث مسند الفردوس- الصقلاني (٨٥٢ه)
٤. شرح المواقف- القاضي عضد الدكن (٧٦٨ه)
٥. شرح مسلم الثبوت- عبد العلى الفرنجي

[١٢] المكتبة السعيدية: فهرس المخطوطات العربية: القرآن الكريم، علوم القرآن، الحديث، والسيرة، والشريعة الإسلامية.

٦. شمائل النبي- الإمام الترمذي (٩٨٢ه)
٧. الموطأ (ثلث نسخ) - لإمام المالك (١٧٩ه)
٨. تفسير فيض الكريم- القاضي بدر الدولة محمد صبغة الله (١٢٨٠ه)

دائرة المعارف العثمانية:

إن الدول العربية تعترف بالخدمات العلمية الجليلة التي أدّاها هذا المركز العريق في نشر المخطوطات العربية في الأدب العربي والثقافة والتفسير والتاريخ والسيرة والاجتماع والفلسفة والطب، أسّسها في عام ١٨٨٢م نخبة من العلماء الأجلاء وأصحاب المناصب العليا، وهم: عماد الملك سيد حسين ومولانا محمد انوار الله خان الفاروقي وملا عبد القيوم[١٣]. فالهدف الأول لتأسيسها كان جمع المؤلفات والمخطوطات العربية النادرة وصيانتها والبحث عنها وترجمتها ونشرها. حتى الآن تم النشر ١٥٠ مخطوطة نادرة، وهي تشمل علم الطب، والزراعة، وعلم الأحجار، (المجوهرات) وعلم التاريخ، والعلوم الإسلامية وغيرها من العلوم. ويوجد بها أيضا كتاب "الكمال" المعروف والذي نجد فيه الوثائق التاريخية المكتوبة بالتفصيل عن العلماء المشهورين وقبائلهم، وقد نشرت ٧ مجلدات له منذ عام ١٩٦٢م حتى عام ١٩٨٥م. وكان شيخ الأزهر الدكتور سيد محمد علي الطنطاوي خلال زيارته للهند عام ١٩٩٦م زار هذه المكتبة العريقة وقال إعجابا بها:

"لقد ازددت سعادة وسرورا بزيارتي لدائرة المعارف العثمانية، ورأيت فيها من المؤلفات القيمة والمخطوطات النادرة، لا أستطيع أن أعبر عنه من سرور وارتياح.

[١٣] الفهرس الوصفي لمطبوعات دائرة المعارف العثمانية، الإعداد عظمت الله الندوي وسيد أحمد زكريا الغوري، ٢٠١٢.

فهذه الدائرة قد قدمت للتراث العربي والإسلامي والإنساني ما تعجز ألفاظ اللغة العربية عن الإحاطة بها. وأسأل الله تعالى أن يزيد في ثروة هذه الدائرة من الكتب والمخطوطات وأن يجمعنا جميعا على طاعته[١٤]."

الخاتمة:

لا شك في أن ملوك الهند وسلاطينها عموما وملوك الدكن (جنوب الهند) خاصةً أدّوا دورًا بارزًا في جمع المخطوطات العربية والإسلامية وتطويرها، كما لا يمكن الإنكار أو التغاضي عن دور المدارس الدينية والعلماء والمشايخ والصوفية الذين ساهموا بالتساوي في نشرها وتنميتها.

المخطوطات العربية هي تراثنا العلمي والأدبي ومصدر غال لإقامة الاتصال والارتباط بين القديم والجديد، ووسيلة مهمّة للإطلال على الماضي، واكتشاف الوقائع التاريخية ونفض الغبار المتراكم عن وجه الحقيقة الناصع. وفي العصر الحديث حيث العولمة والرقمنة، وحيث تحيط التكنولوجيا والآلات الحديثة بكل جانب من جوانب الحياة، ربّما لا نبالي بهذه الروائع والنوادر المنتشرة في مكتباتنا ومتاحفنا وقصورنا ومراكز الأرشيف، وتبدو لنا هذه المخطوطات القديمة مجرد أوراقٍ باليةٍ، ولكنّها في الحقيقة ذات أهمّية بالغة وجزء من تراثنا الثمين، ومن اللازم لنا أن نعضّ بالنواجذ عليها ونحتفظ بها. ومن ناحية أخرى، تساعد هذه المخطوطات في دراسة مختلف أنواع الكتابات العربية، وأساليبها، وتطوّراتها.

لذا، نظراً إلى القيمة والأهمية التي تحملها هذه المخطوطات، فإنّ الواجب العلمي والديني يملي علينا أن نهتم بهذه الثروة المعرفية القيمة والحفاظ عليها.

---

[١٤] الفهرس الوصفي لمطبوعات دائرة المعارف العثمانية، إعداد: عظمت الله الندوي وسيد أحمد زكريا الغوري الندوي، ص ٣٠٦.

المصادر والمراجع

(١) أطلس الخطوط والكتابات الإسلامية في الهند، موسوعة الموسم: موسوعة فصلية مصورة تعنى بالآثار التراث، د. محمد سعيد الطريحي، أكاديمية الكوفة هولنده، ٢٠٠٩

(٢) حوار د. مجيب الرحمن، اللغة العربية هويتنا إن كنا عجما، مجلة الفيصل سبتمبر ٢٠٢٣

(٣) الفهرس الوصفي لمطبوعات دائرة المعارف العثمانية، الإعداد عظمت الله الندوي وسيد أحمد زكريا الغوري، ٢٠١٢

(٤) مجلة شهرية " هندوستاني خطى ميراث" مقالة د. مه جبين أختر – الأهمية التاريخية للمخطوطات العربية في الهند

(٥) المخطوطات العربية في الهند، ترجمة وتحقيق: محمد الشنيطي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

(٦) المكتبة السعيدية: فهرس المخطوطات العربية: القرآن الكريم، علوم القرآن، الحديث، والسيرة، والشريعة الإسلامية

(٧) A Catalogue of the Arabic Manuscripts in the Library of the India office: by Otto Loth

مواقع الإنترنت

(١) https://web.archive.org/web/20130111114604/http://www.salarjungmuseum.in/html/events_september

(٢) https://www.salarjungmuseum.in/Library.html

(٣) https://www.nidaulhind.com/2016/10/blog-post.html

..... ❖❖❖❖❖ .....